شرح

العقيدة الطحاوية

للإمام الشيخ

أبي جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي

- رحمه الله -

شرح فضيلة الشيخ

محمد النورستاني

- حفظه الله -

فهرس الدرس:

(المتن)

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤيةِ لأهل دارِ السلامِ لمن اعتبرَها منهم بوهْم أو تأوَّلها بفهمٍ إذ كانَ تأويلُ الرؤية وتأويلُ كلّ معنى يضافُ إلى الربوبيةِ بتركِ التأويلِ ولزُومِ التسليم، وعليهِ دينُ المسلمينَ.

ومن لم يتوقَ النفيَ والتشبيهَ زلَّ ولم يصبِ التنزيهَ. فإنَّ ربّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات الوَحدانية، منعوتٌ بنُعُوتِ الفَرْدانية، ليس في معناهُ أحدٌ من البَرِيَّة. وتعالى عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدوات، لا تحويهِ الجهاتُ الستُّ كسائرِ المبتدعات".

(الشرح)

١- مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

لازلنا في موضوع رؤية رب العالمين لأهل الجنة، ذكرَ الإمام الطحاوي رحمه الله في ثنايا كلامه في هذا المسألة ذكر بعض القواعد التي تعصم بإذن الله عن الوقوع في الانحرافات التي وقع فيها بعض الناس.

والموضوع الذي يتركز عليه في هذا الصدد أن نأخذَ كل ما نجده في الكتاب والسنة، نأخذه بالاستسلام المطلق، ولا نناقشه ولا نقدم عليه شيئًا، ولا نزنه بميزانٍ آخر، بل كل ما عداهما يُوزن بهما.

٢- عاقبةُ التفكير في كيفية رؤية الله عز وجل يوم القيامة بالخيالات والأوهام:

هنا في هذه الفقرة يريد يفرِّع على ما ذكر، ويريد أيضًا يطبق تلك القاعدة فقال: «**ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤيةِ لأهل دارِ السلامِ**».

لا زال يقيِّد الرؤية بأنها رؤية أهل الجنة، ورؤية أهل الجنة كما قلنا هي في العرصات عرصات القيامة وأيضًا لما يدخلون الجنة.

«ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤيةِ لأهل دارِ السلامِ لمن اعتبرَها منهم بوهْم».

اعتبرها؛ أي: أثبتها أو قاسها.

«**بوهم**»: يقول المؤلف: إن الأوهام لا مدخل لها في الشرائع، مَن يتخيل شيئًا ويتوهم أن الله عز وجل يُرى على صفة كذا وكذا، هذا يتوهم تشبيهًا، لا يمكن أن تتوهم أو أن تصل إلى كيفية رؤية الله عز وجل بالوهم والتخيل؛ لأن مَن يفكر في هذا الموضوع بالأوهام والتخيلات لا يخلو من أمرين: يتوهم شيئًا ويتخيل شيئًا ثم بعد ذلك إن استقر عليه فهو مشبِّه، وإن أراد أن ينزه الله عز وجل عما فهمه وتخيله ونفى الرؤية فهو معطل.

وهذا الذي وقعَ فيه المعطلة الذين ينفون الرؤية؛ يتخيلون شيئًا معينًا، يتوهمون شيئصا معينًا، وينفونه وينفون لأجله أصل الرؤية كما نجده عند المعتزلة والجهمية.

فالذي يجب ألا يُنظر في هذا الموضوع بالتوهمات، بالأوهام، والخيالات.

٣- عاقبةُ تأويل رؤية الله عز وجل يوم القيامة:

«**أو تأولها بفهمٍ**» أيضًا يعني لا يصح الإيمان بالرؤية، الرؤيا التي نثبتها والرؤيا التي أثبتتها النصوص لا يمكن أن يثبتها كما يجب مَن يدخل في هذا الموضوع بالخيالات والتوهمات.

كما أنه لا يمكن أن يصيب في هذا الموضوع مَن يتأولها بفهمٍ؛ أي يدعي أنه فهم من النصوص شيئًا معينًا فيأول النصوص حسب يدعي من الفهم.

فمن يدعي أنه فهم لها تأويلًا يخالف ظاهرها أيضًا لا يمكن أن تصح الرؤية لها، هذا أيضًا إما أن يقع في التشبيه وإما أن يقع في التعطيل.

طيب، ما هو المراد؟ وما هو السبيل؟ السبيل أن تتبع الظاهر المراد من النصوص، والظاهر المراد من النصوص هو ما يليق بالله عز وجل دائمًا.

٤- الظاهر يختلف باختلاف المضاف وباختلاف المنسوب إليه:

الظاهر يختلف باختلاف المضاف وباختلاف المنسوب إليه، فالاستواء مثلًا إذا أُضيف.. هذه الصفة إذا أُضيفت إلى المخلوق، لا يُفهم منها إلا ما يليق بالمخلوق، استواءٌ يليق بالمخلوق فيه احتياج إلى غيره، وفيه افتقار إلى غيره، هذا الذي يُفهم.

وإذا أُضيف إلى الله عز وجل لا يُفهم إلا ما يليق بالله عز وجل، اللهُ عز وجل لا يحتاج إلى مخلوقاته، العرش مخلوق من مخلوقاته فلا يحتاج إليه، فلا يمكن أن تفهم من الاستواء المضاف إليه استواءً يليق بمخلوق.

إذن ظاهر الكلام في جميع النصوص التي تتعلق بالله عز وجل الظاهر منها هو ما يليق بالله عز وجل، إذًا تركها بدون تحريف فيه السلامة، أما مَن يتأولها ويحرفها ويتوهم فيها ويتخيل فيها، فهذا لا يمكن أن تصح له الرؤية.

لذلك يضيف الإمام الطحاوي يقول: «**إذ كانَ تأويلُ الرؤية وتأويلُ كلّ معنى يضافُ إلى الربوبيةِ بتركِ التأويلِ ولزُومِ التسليم، وعليهِ دينُ المسلمينَ**».

كما رأينا من الإمام الطحاوي هو يعرِّض بالمخالفين، يعرِّض بهم تعريضًا قويًا جدًّا، لما يقول: «**وعليه دين المسلمين**»، كأنه يقول: مَن خرج على هذه المسلمات فليس على دين المسلمين أو ليس على منهج المسلمين عمومًا.

٥- معنى التأويل وأقسامه:

«**إذ كانَ تأويلُ الرؤية**» المراد بالتأويل هنا التفسير. نحن سبق أن ذكرنا أن التأويل يأتي لثلاثة معاني: بمعنى التفسير، وبمعنى الحقيقة في الخارج، وبمعنى الصرف اللفظي عن المعنى الظاهري إلى غيره لدليلٍ أو لقرينةٍ تقترن به.

ذكرنا ثلاثة معاني وقلنا: التأويل بمعنى التفسير، والتأويل بمعنى حقيقة ما يؤول إليه الكلام أو على الحقيقة الخارج، هذان المعنيان صحيحان أما المعنى الثالث فهو عين التحريف.

التأويل الذي يستخدمه المتكلمون هذا عين التحريف، والإمام الطحاوي هنا يتأدب معهم، ويسمي تأويلهم تأويلًا وإلا تأويلهم لا ينبغي أن يُسمى تأويلًا، فلو قال مثلًا: إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يُضاف إلى الربوبية بترك التحريف، لكان أوضح؛ لأن التأويل في الموضع الثاني معناه التحريف.

«**إذ كانَ تأويلُ الرؤية وتأويلُ كلّ معنى يضافُ إلى الربوبيةِ**». كل ما يُضاف إلى الله عز وجل فإذا أردتَ أن تفهمه جيدًّا فلا تحرف فيه، وتمسك بظاهر الكلام، وظاهر الكلام في كل سياق هو ما يُناسب المضاف إليه.

المضاف إليه مخلوق يكون مناسبًا له، المضاف إليه خالق يكون مناسبًا له، وهذه قاعدة، هذه من أهم القواعد التي ينبغي أن نفهمها فيما يتعلق بظاهر الكلام؛ لأن المتكلمين يدعون أن ظاهر الكلام تشبيه!

وهذه قاعدة من القواعد التي شرحها شيخ الإسلام في التدمرية، هم لما يقولون: ظاهر النص كذا وكذا، هل يسلم لهم؟ لا يُسلم لهم، هذا انحراف في الفهم، وهناك كلام جميل للشنقيطي رحمه الله في التفسير، وكلام جميل جدًّا أيضًا لابن أبي العز في الشرح فيما يتعلق بظاهر الكلام.

والموضوع لا يحتاج إلى.. الموضوع ليس معقدًا جدًّا حتى يُطال فيه ولكن هكذا منهج المبتدعة، الآن مثلًا العلم لما تُضيفه إلى الطفل وتقول: علم هذا الولد، هل تفهم منه العلم الذي يكون عند أبيه؟ لا، إذا أضفتَ العلم إلى طالب متوسط، هل تفهم منه العلم الذي يكون عند كبار طلاب العلم، العلم الذي تضيفه إلى كبار طلاب العلم هل يكون مثل علم الشيخ ابن عثيمين؟ لا.

إذًا كلما أُضيف العلم يُنظر إلى المحل، إلى المضاف، ويُفهم حسب المضاف، واضح؟ إذا أُضيف العلم إلى الله عز وجل، هل يُفهم منه ما يليق بالمخلوق؟ لا، وهذا الأمر يتفق معنا في ذلك الكلابية؛ لأنهم يثبتون سبع صفات، ويمشون في الصفات السبع على التنزيه

الذي نمشي عليه نحن، يثبتونها لائقةً بكمال الله عز وجل وجلاله، لا يثبتونها كما تليق بالمخلوق.

وهكذا كل ما يُضاف إلى الله عز وجل كما يقول المؤلف هنا: «**إذ كانَ تأويلُ الرؤية – أي تفسير الرؤية– وتأويلُ كلّ معنى يضافُ إلى الربوبيةِ بتركِ التأويلِ**» أي بترك التحريف.

٦- منشأُ الخطأ عند المتكلمين في فهمِ النصوص:

فإذا دخلتَ في هذا المجال وأعملتَ فيه التحريف فينتج من ذلك كما ذكر شيخ الإسلام أربعة محاذير؛ لأن المتكلمين وأهل البدع لماذا يحرفون؟ لماذا يأولون؟ لأنهم لا يفهمون من الظاهر إلا ما يليق بالمخلوق.

اللهُ عز وجل أثبت لنفسه اليدين، هل يليق أن نفهمها كيد المخلوقين؟ لا، أُضيف إلى الله عز وجل فلا يُفهم إلا كما يليق به.

المتكلمون ماذا فعلوا؟ لم يفهموا منه إلا التشبيه، وقالوا: ظاهر الكلام فيه تشبيه، والله عز وجل منزه من التشبيه؛ أن يشبهه أحد أو يشبه أحد، فلذلك لابد من التأويل، وهذا التأويل هو عين التحريف.

فبداية الخطأ عندهم من فهمهم؛ لأنهم فهموا من الظاهر المضاف إلى الله عز وجل التشبيه، وهذا خطأ، إذا فهموا منه ما يليق بالله عز وجل، لا إشكال في أي صفة.

ولذلك كلمة الظاهر هذه الكلمة لابد أن نفهمها كما ذكرها شيخ الإسلام وغيره، ظاهر الكلام دائمًا يُفهم بالنظر إلى المضاف، يُفهم بالنظر إلى المنسوب؛ كما أن الصفة تُفهم بالنظر إلى الموصوف، كما ضربنا مثالًا العلم، هذا معنى مطلق لا يتحدد ولا يتخصص إلا بعدما يُضاف وبعدما يُخصص وبعدما يُنسب. واضح؟

٧- المحاذير الأربعة التي يقعُ فيها مَن يفهم من نصوص الصفات ظاهرًا لا يليق بالله عز وجل:

ذكر شيخ الإسلام أن الذين يفهمون من نصوص الصفات ظاهرًا لا يليق بالله عز وجل، ثم يحرفون يقعون في أربعة محاذير.

وهذه المحاذير خلاصتها أنهم يقعون في تشبيهين وفي تعطيلين، مَن يفهم من النصوص ويخطأ في الظاهر ويفهم منها ما يليق بالمخلوق، يفهمون من النصوص المتعلقة بالله عز وجل، يفهمون منها التشبيه، فهؤلاء يقعون في تشبيهين وفي تعطيلين:

التشبيه الأول: أنه فهم من هذا النصوص ما يليق بالمخلوق، وهذا تشبيه، وكان يجب عليه ألا يفهمن منها إلا ما يليق بالله عز وجل؛ لأنها مضافة إليه. هذا المحذور الأول؛ وقعوا في التشبيه.

المحذور الثاني: التعطيل، يقولون: المراد بالاستواء ليس هو العلو والارتفاع. وهذا فيه تعطيل للنص عن المدلول المراد، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥].

المقصود من هذا النص إثبات علوه وارتفاعه، هذا المحرف ماذا فعل؟ لم يفهم منه إلا التشبيه فوقع في التشبيه، أراد أن يفر من التشبيه فوقع في التعطيل، ولكن هذا تعطيل للنص، وهذا التعطيل الأول، فقال: ليس المراد بالاستواء هو العلو والارتفاع، بل شيء آخر، فعطّل النص عن المدلول المراد.

بناءً على هذا التعطيل عطَّل الله عز وجل عن لاصفة التي أثبتها لنفسه، فلم يثبت الاستواء لله عز وجل، فعنده تعطيل للنص، وتعطيل للموصوف.

المحذور الأخير: يرجع للتشبيه مرة أخرى، لما ينفي عن الله عز وجل الصفات التي تليق به، يثبت له بزعمه شيئًا آخر ويكون فيه مشبهًا تشبيهًا أسوء من التشبيه الذي فهمه من النص.

مثلًا هذا في صفة الاستواء لم يفهم منه إلا ما يليق بالمخلوق، فوقع في التشبيه، نفى العلو والارتفاع، فوقع في تعطيل النص، وبالتالي لم يصف الله عز وجل بهذه الصفة فعطّل

الله عز وجل عن صفته التي أثبتها لنفسه، ثم قال: المراد بالاستواء هو الاستيلاء فوقع في تشبيه شر من التشبيه الذي وقع فيه في البداية.

لأن الاستيلاء لا يكون إلا بعد مغالبة، يعني الله عز وجل تمدح بأنه استولى على عرشه؟ سبحان الله! يعني مدح نفسه في سبع آيات من القرآن أنه استولى على هذا المخلوق، -- ((# كلمة غير مفهومة- ١٩:٣٩)) --.

فشبهه بمخلوق يغالبه مخلوق آخر، بالكاد يغلب على هذا المخلوق، ومن الملاحظ كما ذكر الشيخ الشنقيطي أن الله عز وجل لم يذكر الاستواء في مقام التمدح دائمًا.

مثلًا في سورة طه: ﴿ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) ﴾ [طه: ١، ٢]، هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع أمته، يعني هذا القرآن ليس عبئًا عليكَ.

﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) ﴾ [طه: ٢]، القرآن أُنزل لسعادتك وليس لشقاوتك.

ثم يقول: ﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) ﴾ [طه: ٤] الذي أنزلَ القرآن بيده السماوات والأرض، فلا تظن أنه يحتاج إليك لأن تحفظ هذا القرآن، لا أبدًا لا يحتاج إليك ولا إلى غيرك.

﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) ﴾ [طه: ٤] إذن لا يحتاج إليك، ولا تظن أنه عبء عليك.

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾ [طه: ٥]، ذكر الله عز وجل هنا استواءه على العرش في مقام بيان عظمته وعلوه، وتمدح بهذه الصفة، فهل الله عز وجل بعد ما ذكر أنه خلق السماوات والأرض ومن ذلك العرش، بعد ذلك هل ذكر أنه تغلب على العرش؟ سبحان الله! أي تمدح في ذلك؟!

فهذا المعطل، هذا المأول زعم أنه يفر من التشبيه فوقع في تشبيه أسوأ من التشبيه الذي تخيله، واضح؟

إذًا لم يفهم من النصوص إلا تشبيه، فوقع في أربعة محاذير: تشبيه أولًا وأخيرًا، وتعطيلان؛ تعطيل للنص وتعطيل للموصوف.

ولذلك يقول المصنف هنا: «**إذ كانَ تأويلُ الرؤية وتأويلُ كلّ معنى يضافُ إلى الربوبيةِ بتركِ التأويلِ**».

المراد بالتأويل الثاني التحريف، التأويلات التي تذكرونها هذه كلها تحريفات، ولذلك ذكر ابن أبي العز هنا أن الشيخ سماه تأويلًا، الثاني سماه تأويلًا تأدبًا معهم وإلا كان المفروض أن يسميه تحريف.

لأنهم يقولون: صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى غيره يقترن به، ولن تجد هذا الدليلَ لقرينة تقترن به، أبدًا هذا الدليل وهذه القرينة دائمًا عندهم قرينة عقلية، يقولون: بأن العقل يحيل إثبات الاستواء له؛ لأن الاستواء فيه احتياج وافتخار، والله عز وجل لا يحتاج، ننزه عن الاحتياج وعن الافتقار.

نقول له: هذا كله من فهمك الخاطئ من البداية، وإذا ناقشته في المسألة في الأخير يقول: أنا أريد استواء يليق به، يقول: أنا أريدُ استيلاءً يليق به، سبحان الله!

اللفظ الذي تأتي به تزعم أنك تنزهه، واللفظ الذي استعمله الله عز وجل لا يحتاج منك إلى شيء من التفكر ولو بدقيقة؟!

٨- مثالٌ على فهم أهل البدع الخاطئ للنصوص، وإثبات أن ظاهرها يقتضي التشبيه!

هذا كله خلل في المنهج، ولذلك هم لما ينظرون إلى النصوص ويفهمون منها تشبيهًا، أحيانًا يوغلون في تقدير ما يُفهم من النصوص، يوغلون فيه بطريقة ما أدري ماذا تقول؟

أضرب لكم مثالًا، هذا الكتاب كما قلنا هذا مصحف الأشاعرة، تأسيس التقديس؛ لأنه يؤسس منهج تقديس الله عز وجل.

يقول: القسم الثاني من هذا الكتاب في تأويل المتشابهات.

هم دائمًا يسمون نصوص الأسماء والصفات يسمونها المتشابهات، وأين المحكمات؟ المحكمات هي وساوسهم التي.. طبعًا لو نتحدث عن الوساوس التي ذكرها هنا، بعضكم لن تصدقوا، على الأقل بعضكم ستشككون فيما أقول، وأنا أمام الكتاب يعني في تأويل المتشابهات من الأخبار والآيات، والكلام فيه مرتب على مقدمة وفصول، أما المقدمة فهي في بيان أن جميع فِرق الإسلام مقرون بأنه لابد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار.

هكذا يدعي كأنه يتحدث عن الجميع، «**أما القرآن فبيانه من وجوه: الأول: وهو أنه ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، وذكر الجنب الواحدي، وذكر الأيدي**».

الأيدي: طبعًا لم يأت في القرآن ذكر الأيدي.

«**وذكر الساق الواحد**» فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص لو وجه واحد، وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة، حتى هذا لم يثبت.

«**وله جنب واحد وعليه أيدٍ كثيرة، وله ساق واحد، ولا نرى في الدينا شخصًا أقبح صورةً من هذه الصورة المتخيلة**». طبعًا هو يتحدث عن النصوص.

«**ولا أعتقد أن عاقلًا يرضى أن يصف نفسه بهذه الصفة**». سبحان الله! التكلف هنا في تشبيه الظاهر، تكلف غريب.

لو أُعدِّد الأمثلة في تشويهه للظاهر، حتى نتفق معه في التأويل، وماذا يريد أن يقول: يقول ظاهر الكتاب والسنة هكذا، يرضيك هذا؟ أو أنتَ معي في التأويل؟ فماذا نقول له؟

نقول له ولأمثاله: هذا الفهم بعد تلوث أخبارك بالفلسفات الشرقية والغربية، أما ظاهر كلام الله عز وجل، وظاهر كلام النبي صلى الله علهي وسلم في ربه لا يكون إلا إثباتًا للكمالات التي تليق به.

لا تعتقدوا أن ظاهر كلام الله عز وجل المتعلق بنفسه الكلامية تكون قديرة بهذا الشكل، لا تعتقدوا؟!

هذه المصيبة جاءتهم من أين؟ الجزاء من جنس العمل، هذه المصيبة جاءتهم من أين؟ الجزاء من جنس العمل، فهذا عقلك الآن وإلا سبحان الله هذا التشبيه المتعمد لو تقول: مثلًا أنا لم أفهم منها إلا ما يليق بالمخلوق تكون مثل غيرك.. أما تتعمد هكذا في تشبيه الظاهر حتى.. سبحان الله! تتحدث عن من أنتَ؟

وهذا منهجهم دائمًا لا يفهمون إلا ما يليق بالمخلوق، ويقبحونه ويشوهونه بحيث تتفق معهم فيما ينتهج من التأويل والتحريف.

ولذلك لابد أن نفهم ما يقوله المؤلف بدعة، يقول: «**إذ كانَ تأويلُ الرؤية وتأويلُ كلِّ معنى يضافُ إلى الربوبيةِ –بماذا؟– بتركِ التحريف**». التأويل الثاني هو التحريف.

٩- إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته بما يليق به جل جلاله هو ما عليه دين المسلمين:

«**ولزُومِ التسليم، وعليهِ دينُ المسلمينَ**». لا شك أن عليه دين المسلمين.

مما يدل على أنه دين المسلمين أنتَ اعرض هذا الذي يذكره الرازي لأحد العوام، قل له ورد في القرآن أن الله عز وجل تحدث عن نفسه بأمور: منها مثلًا كذا وكذا، هذا العامي ... يعني لن يصدق، كيف يكون هذا القرآن الذي فيه الهدى والنور، وفيه الشفاء، وفيه، وفيه، وأهم ما فيه كل كفر.

فهنا الشارح ابن أبي العز أيضًا تحدث عن هذا الموضوع يعني بشيء من التفصيل، وأنا أدعوكم لقراءة ما ذكره، طبعًا لن أقرأ؛ لأنه طويل، ولكن أنا أدعوكم لقراءة ما ذكره؛ لأنه فيه فوائد.

هنا من صفحة ٢٥٦ إلى ٢٥٩، بدأه بقوله: «**ويجب أن يعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه، وأن من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه، وإذا كان قد قيل في قول بعض الناس:**

وكـم مـن عائـب قـولًا صـحيحًا　　　وآفتـه مـن الفهـم السـقيم

وقيل:

عـلي نحـت القـوافي مـن أماكنهـا　　　ومـا عـليَّ إذا لم تفهـم البقـر»

بعدها يقول: «**فكيف يقال في قول الله ، الذي هو أصدق الكلام وأحسن الحديث،** وهو ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾ [هود: ١]».

كيف يقال في هذا أنه دائمًا يُفهم منه ما يليق بالمخلوق!

١٠- مثال آخر على قصر فهم المتكلمين للنصوص:

أيضًا من باب تنشيطكم، أذكر لكم كلامًا لأحد المتكلمين، ومعه الرد، يقول هنا طبعًا هذا الكتاب: «**التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**»، هذا المجلد الثاني، المجلد الثاني كله في العقيدة.

يقول نقلًا عن أحدهم: «**فإن قيل –طبعًا هذا نص كلام أحد المتكلمين–: إذا كان الدين الحق نفي الحيز، الحيز هو بمعنى المكان، ولكن المكان الأوسع، والحيز هو المكان الذي تشغله، والجهة، فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك، كما كررت الدلالة على وجود الصانع ووحدته وعلمه وقدرته وحقيقة المعاد، وحشر الأجساد في عدة مواضع، وأكدت غاية التأكيد، مع أن هذا أيضًا حقيقٌ بغاية التأكيد والتحقيق لما تقرر في فطرة العقلاء، مع اختلاف الأديان والآراء من التوجه إلى العلو عند الدعاء ومد الأيدي إلى السماء؟**»

يقول: الفطرة أن كل مَن يتوجه لله عز وجل فإنه يتوجه إلى العلو، ونحن نقول: أن الله عز وجل ليس عاليًا على الناس، نحن هكذا نقول، فما بال النصوص كلها تؤيد هذا الذي تقوله فطرتك، لماذا لم تأت النصوص تبيِّن أن هذا تشبيه؟

أجيب : بأنه لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصر.عنه عقول العامة حتى يكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة كان الأنسب في خطاباتهم، والأقرب الى اصطلاحهم، والأليق بدعوتهم

إلى الحق ما يكون ظاهرًا في التشبيه، وكون الصانع في أشرف الجهات مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق عما هو من سمات الحدوث.

لاحظوا مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق؛ يعني عامة النصوص ليس فيها تنزيه مطلق، والتنزيه المطلق وين؟ في هذه التنبيهات الدقيقة التي لم يفهمها إلا هذا.

طبعًا أصل هذا الكلام لابن سينا، ثم ذكره الرازي، وذكره الجرجاني، وغيره، هكذا هم يقولون: ما عليك من هذه النصوص الكثيرة التي فيها إثبات العلو، عليك بهذه التنبيهات الدقيقة التي نحن نستخرجها لكم.

إذن تنبيهاتهم الدقيقة هذه محترمة، ونصوص الكتاب والسنة المتكاثرة هذه..

ثم يقول: «**وعليه دين المسلمين**».

الحقيقة يعني هذه الفقرة مع أن كثيرًا من أهل البدع يتعلقون بها ذكره الطحاوي هنا، وكلام الطحاوي أغلبه مع أنه يحاول أن يكون واضحًا، ولكن أغلبه أُول كما أُول كلام الله عز وجل، كلام الله عز وجل مع أنه الكلام الموجز لم يسلم منه، وكلام رسوله، فكيف بكلام الطحاوي.

١١- شرح قول المصنف: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه»، وفيه الردُّ على المعطِّلة والمشبِّهة:

ثم قال: «**ومن لم يتوق النفي والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه**».

هنا ردَّ الإمام الطحاوي على الفرقتين المتقابلتين؛ فرقة المشبهة وفرقة المعطلة، فرقة المعطِّلة دائمًا يقولون وإليهم الإشارة بقوله: ومن لم يتوق النفي، المعطِّلة على درجات: بعضهم ينفي الأسماء والصفات؛ كالجهمية، وبعضهم ينفي الصفات فقط؛ كالمعتزلة، وبعضهم ينفي بعض الصفات؛ كالكلَّابية؛ الأشاعرة والماتريدية، وهو يريد أن يردَّ على الجميع.

يقول: «**ومن لم يتوقَ النفيَ والتشبيهَ زلَّ ولم يصبِ التنزيهَ**».

يقول للمعطِّلة: أنت تدعي أنك تعطِّل وبهذا التعطيل تنزِّه الله عز وجل، أنت مخطئ في هذا، أنت لم تُصب التنزيه، لماذا؟

هل يكون تنزيه الله عز وجل بهذه الصورة التي استمعنا إليها؟ هل هذا فيه تنزيه؟ يعني تقول: كلام الله عز وجل يُفهم منه هذا القبيح، هذا تنزيه؟ هذا ليس تنزيه، من البداية هذا تشوية، يعني من البداية..

سبحان الله لو أن خطيبًا من الخطباء تحدث في موضوع، وجاء شخص وحاول أن يفهم منه أسوأ فهم ممكن، ثم عبّر عنه بمثل ما .. ما يتوقع أن يصل إلى هذا الذي ..، الله عز وجل يصف نفسه بهذا القبيح! إذن هذا ليس من التنزيه بشيء.

مع أنهم ماذا يفعلون؟ لما يأتون إلى الصفات السلبية؛ أنه ليس الجوهر، وليس هذا.. ولا داخل العالم ولا خارجه، يكون العنوان: التنزيهات، في كتب المتكلمين لما يقولون: التنزيهات فاعلم أن باب الانحراف فُتح على مصرعيه، في باب التنزيهات.

وكل تنزيه تحته نسف لنص أو نصوص كثيرة، كل تنزيه، لا أستثني من ذلك شيئًا، وهذه تنزيهاتهم.

١٢- الأسباب الأربعة على أن تنزيه المعطِّلة ليس تنزيهًا!

يقول المؤلف: «**ومن لم يتوقَّ النفيَ والتشبيهَ زلَّ ولم يصبِ التنزيهَ**».

هذا ليس تنزيهًا؛ أولًا: لأنه أقصى طريقة القرآن، ليس تنزيهًا.

ثانيًا: لأن فهمك من كلام الله عز وجل فهمت منه الكفر، وهذا ليس فيه تنزيه، أنت ما نزهت كلام الله عز وجل.

وليس تنزيهًا؛ ثالثًا: لأن النصوص هذه لا تتحمل التأويل، حتى ولو حاولت، أنت عكس التنزيه، وهذا ليس من التنزيه في شيء.

أيضًا ليس تنزيهًا؛ رابعًا: لأنك تنفي ما أثبته الله عز وجل، الله عز وجل يثبت لنفسه وأنت تنفي! ولذلك هم لما يقولون دائمًا: أنت تثبت الاستواء.

سبحان الله هناك تعليق جميل للشيخ عبد الرحمن الوكيل، الشيخ عبد الرحمن الوكيل المصري الذي كان رئيس أنصار السنة المحمدية، له كتاب أو كتيب صغير: «**الصفات الإلهية وموقف المخالفين منها**»، ذكر هناك، يقول: تجدهم يقولون: أنت تثبت سبحان الله أنا أثبت! الله عز وجل يثبت لنفسه، أنا أثبت! مَن أنا حتى أثبت؟! أنا لا أثبت شيئًا إلا ما أثبته الله عز وجل، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، لا أثبت شيئًا، كل ما أثبته ليس لي فيه شيء، لا تقل لي: أنت تثبت، الله عز وجل إذن خصمك هو رب العالمين، لست أنا، أنت تثبت ما أثبت أنا، أنا تابع للوحي، فهذا ليس تنزيهًا، إذا لم يكن تنزيهًا فما هو؟ أنت أحكم على نفسك، طريقتك عكس التنزيه.

١٣- من هم المشبِّهة الذين يَرُدُّ عليهم المتكلِّمون؟

أما بالنسبة للمشبه فالأمر فيه أيسر من المعطلة؛ لأن المشبهة بداية التشبيه كان عند الروافض، وبعد ذلك يُنسب هذا إلى الكرَّامية وأنا أشكك في ذلك؛ لأن الكرَّامية لم نجد لهم كتب، يعني لم تصلنا كتب للكرَّامية، والذي ينسب إليهم هم المتكلمون، والمتكلمون ليسوا جهة مؤتمنة، لأني أنا أيضًا عندهم مشبه، فلذلك كل مَن يتهمونه بالتشبيه لن أصدقه إلا إذا وجدت كتابًا لهم أو نسبة من الموثوقين؛ مثلًا: الكرَّامية يُنسب إليها أن الإيمان هو القول فقط، مَن ينسبه؟ ينسبه إليهم أمثال شيخ الإسلام، وهذه جهة مؤتمنة، أنا أقبلها، أما ما ينسب إليهم الرازي وغيره، لا.

فقصدي المشبهة في الأمة قلة جدًا، لا تشكل ظاهرة، ولذلك المشبهة الذين يَرد عليه المتكلمون عمومًا هم أهل السنة والجماعة، هم يتهموننا بالتشبيه إلى الآن، نحن عندهم مشبهة، لماذا؟ ما ذنبنا؟ ذنبنا أننا لم نركب وراءهم في تعطيلهم وفي تفلسفهم، ونحن وراء الوحي، ما نُثبت إلا ما أثبته الله عز وجل، وما ننفي إلا ما نفاه الله عز وجل.

طبعًا النفي بابه أوسع؛ لأن النفي إذا ورد بالنص ننفيه، أو إذا كان شيءٌ خِلاف ما وُصف الله عز وجل به في أسمائه وصفاته أيضًا يُنفى، مثلًا: الله عز وجل من أسمائه

الصمد، والصمد أنه لا يحتاج إلى غيره والخلائق كلهم محتاجون إليه، إذا كانت هناك معاني فيها احتياج، ننفيها، وأين الدليل؟ الدليل هي الأسماء والصفات، والدليل هي النصوص التي وردت أيضًا في النفي، واضح؟

لأنهم أحيانًا يقولون: طيب، جيبلي دليل النص من الكتاب والسنة؛ أن الله عز وجل ليست له أضراس، أنت دائمًا تقول: أنا أتقيد بالكتاب والسنة، طيب جيبلي دي، وهذا من الخطأ في الفهم، ما دام هم أخطأوا في فهم النصوص، فيخطئوا في فهم موقفك فهذا ليس فيه من المستغرب، ولكن ما يُستغرب أحيانًا ما يخطؤون يتعمدون، يتعمدون أن يشوهوا سمعتك، وأحيانًا يتعمدون الكذب عليك، وهم يظنون أنهم على الحق، ودائمًا على السنة.

المهم هنا الإمام الطحاوي يرد على الفرقتين: ومن لم يتوقَ النفيَ -كما هو منهج المعطلة-، والتشبيهَ -كما هو منهج المشبهة- زلَّ ولم يصبِ التنزيهَ.

١٤- التنزيه بين أهل السنة وأهل البدع:

إذن هذا ليس تنزيهًا؛ التنزيه هو إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه من الكمالات، الله عز وجل لا يثبت لنفسه إلا الكمال اللائقة به؛ لأن إثباته تنزيه، ونفي ما نفاه الله عز وجل عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله، هذا هو التنزيه، أما أن تتلاعب مع النصوص وتُعمل فيها التحريف كما تريد، وفي النهاية تكون منزهًا، هذا ليس من التنزيه في شيء.

١٥- كيفية الفرار من التشبيه:

طبعًا كلمة التشبيه لم يرد نفيها بخصوصها في الكتاب والسنة، الذي ورد نفيه هو المثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى: ١١]، لأن المماثلة هي التشابه المطلق، أما مطلق التشبيه فهذا يكون بين كلِّ الموجودات، ولو في وجود مثلًا، الموجودات تشترك أقل شيء في الوجود، ولكن وجود الله عز وجل يخصُّه، ووجود المخلوق يخصُّه؛ لأن وجود المخلوق يسبقه العدم ويلحقه العدم، ووجوده هو قريب من العدم، فوجوده يخصُّه ووجود الله عز وجل يخصه.

فليس الفرار من التشبيه لا يكون بنفي الوجود من الله عز وجل أو من المخلوق كما هو منهج الصوفية: لا وجود لله عز وجل، وكما هو عليه القرامطة، لا يثبتون الوجود لله عز وجل؛ لأنهم يقولون: في هذا تشبيهٌ مع الموجودات الأخرى، لا.

الفرار من التشبيه يكون بإفراد الله عز وجل بما يختصُّ به، نفي التشبيه عندنا عند أهل السنة هو إفراد الله عز وجل بما يختص به، ما يختص به من الوجود والعلم، والسمع والبصر، لا يشترك معه أحد في ذلك، هذا هو نفي التشبيه، واضح يا مشايخ؟

كلمة التشبيه لم يرد نفيها بخصوصها في الكتاب والسنة، والذي ورد نفيها كلمة المثل، ولكن نحن لما ننفي التشبيه ننفي على أن تكون بمعنى التمثيل، أما مطلق التشابه، فهذا لا يُنفى؛ لأن ما من شيئين إلا وبينهما شيء من التشابه حتى ولو في المعاني المطلقة.

يقول: «**ولم يصبِ التنزيهَ**»، طبعًا ولو ادعى ذلك، وهذه دعواهم، يدعي مَن يقولون: نحن نريد التنزيه، سبحان الله، أنا دائمًا أستغرب أنت كيف تنزه الله عز وجل بعدما تلاعبت بهذه النصوص، وهذه الآيات، كيف تنزهه، كيف تنزه وأنك جعلت كلام الله عز وجل أدنى من كلام المريسي، كلام المريسي ما شاء الله دائمًا لا يُفهم منه إلا الحق الصراح، وكلام الله عز وجل لا يُفهم منه إلا الكفر؛ لأنه تشبيه كفر.

١٦- شرح قول المصنف: «فإنَّ ربّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات الوَحدانية، منعوتٌ بنُعُوتِ الفَرْدانية»:

ثم ذكر تدليلًا لما ذكر، «**فإنَّ ربّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات الوَحدانية، منعوتٌ بنُعُوتِ الفَرْدانية، ليس في معناهُ أحدٌ من البَرِيَّة**».

هذه الجملة ذكر ابن أبي العز أن فيها شيء من السجع المتكلف، أو ذكر أن فيه شيء من السجع الذي قد لا يُحتاج إليه، يقول: لأن السجع بالخطب أليق منه بكتب العقيدة، ومراعاة السجع هنا أوقع المؤلف في شيء من التكرار، مثلًا: فإن ربنا جل وعلا موصوف

بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، الوحدانية والفردانية متقاربان، وكذلك الوصف والنعت كلاهما متقاربان.

يقول: «**فإنَّ ربّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات الوَحدانية، منعوتٌ بنُعُوتِ الفَرْدانية**»؛ معنى كلتا الجملتين واحد: وهو أن الله عز وجل واحد في ذاته وصفاته، لا يشترك معه أحد، وأكد ذلك في الأخير: «**ليس في معناه أحد من البرية**».

يقول ابن أبي العز: في هذه الفقرة يلخص الإمام الطحاوي معنى سورة الإخلاص؛ لأن سورة الإخلاص فيها بيان أن الله عز وجل أحد، وهذا الذي عبّر عنه بالوحدانية، وفيها أيضًا أن الله عز وجل لا يحتاج إلى أحد والجميع يحتاجون إليه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص: ٢ - ٤]، فيها معنى قوله: ليس في معناه أحد من البرية، ليس له أصل وليس له فرع مما يكون للمخلوقين، وذكر أنه لو ذكر السورة هذه كان أفضل مما عبّر عنه بهذا التعبير.

على كل حال مقصوده أن الله عز وجل واحدًا في صفاته وذاته، لا يشترك معه أحد، وهذا لا يكون إلا بالإثبات والنفي.

هذه الفقرة دليل للفقرة الماضية، المعطّل يكتفي بالنفي، والذي ينفي يثبت وحدانية الله عز وجل في ماذا؟ في العدم، ليس بكذا.. ليس بكذا.. إذن العدم أحسن منه، وفعلًا العدم؛ يعني وحدانيته وفردانيته أحسن منه، يعني يثبت وحدانية في ماذا، وهو لم يثبت شيء؟ هذا بالنسبة للمعطلة.

والمشبه لما يُشَبه الله عز وجل بخلقه، أو يشبه خلقه به، فأي وحدانية فيها؟ صفاته مثل صفات المخلوقين، لم يذكر أن الله عز وجل متفرد في ذاته وصفاته، لا، جعله مثل المخلوقين.

<u>١٧- التوحيد وتنزيه الله عز وجل لا يتم إلا بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه:</u>

فالتوحيد وتنزيه الله عز وجل عن مشابهة المخلوقين، وإثبات توحده في ذاته وصفاته لا يتم إلا بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه، ولذلك هذه الفقرة دليل للفقرة الماضية.

كأنه يقول: مَن اكتفى بالنفي فإنه شبهه بالمعدومات أو بالمنقوصات أو .. ولم يجعله واحدًا في ذاته وصفاته لأنه لم يثبت شيئًا، ومَن أثبت الصفات مشابهة لصفات المخلوقين أيضًا لم يجعله واحدًا في صفاته وذاته؛ لأنه يشترك معه غيره، ما صار واحدًا في ذاته وصفاته؛ لأنه يشترك معه غيره.

نعم، ثم قال: «**وتعالى عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدوات، لا تحويهِ الجهاتُ الستُّ كسائرِ المبتدعات**».

هذه الجملة أيضًا ساقها الإمام الطحاوي زعمًا منه أنها تكميلٌ لكلامه في التشبيه، ونؤجل الكلام فيها إلى درسٍ لاحق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٨- سؤالٌ يجيب عنه الشيخ:

الطالب:

جزى الله شيخنا عما قاله، ونسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، السائل يقول: شيخنا، أحسن الله إليكم، فيما يخصُّ بداية التشبيه هل هي قولان: قول بأنهم الروافض، والقول الآخر بأنهم كرامية، أم أن الكرامية مرحلة جاءت بعد الروافض؟

الشيخ:

لا، هو قولًا واحدًا، الروافض؛ لأن الروافض هشام الحكم الرافضي- هذا قديم، الكرامي إمامهم محمد بن كرام كان معاصرًا للإمام أحمد، بينما الهشام بن الحكم الرافضي- هذا قديم، قولًا واحدًا الروافض في البداية كانوا مشبهة ثم من القرن الرابع صار المعتزلة، بدأوا بالتشبيه وانتهوا بالتعطيل.

الطالب: أحد الإخوة عنده سؤال؟ نختم ويدعوكم إخوانكم إلى العشاء بارك الله فيكم.